

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة

إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة والمثونة الشديدة والرأى للمهدى وفقه الله أن لا يقلل عثرتهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف ويستحرق بهم القتل ويحرق بهم الموت ويحيط بهم البلاء ويطبق عليهم الذل فإن فعل المهدى بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم وهزيمة لكل بادرة شر منهم واحتمال المهدى في مثونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة .

فقال المهدى قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل .

60 - مقال العباس بن محمد .

فقال العباس بن محمد .

أيها المهدى أما الموالى فأخذوا بفروع الرأى وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تنفق والجنود ألا تفرق وبأن لا يعطى القوم ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا وجاء بأمر بين ذلك استصغارا لأمرهم واستهانة بحربهم وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها .

وأما على فأشار باللين وإفراط الرفق وإذا جرد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحثا والخير محضا لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب عن لينه ولا بشر يخبسهم إلى خيره فقد ملكهم الخلع لعذرهم ووسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم فإن أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطربهم ولا شدة فنزوة في رءوسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأى فيهم وما قد يشبه أن يكون من مثلهم لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها